

الكاتب: أ.د/ قاسم عبد سعدون الحسيني
عنوان المقال: حركة الاسترداد
جمهورية العراق جامعة ميسان / كلية الأسبانية *Al reconquista*
التربية / قسم التاريخ (الريكونيكيستا) قراءة في المصطلح والمضمون

البريد الالكتروني: ukm_2012@yahoo.com

تاريخ الارسال: 19/09/2019 تاريخ القبول: 18/12/2019 تاريخ النشر: 2020/03/31

حركة الاسترداد الأسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) قراءة في المصطلح
والمضمون

Al Reconquista Read the term and content

الملخص بالعربية:

شهدت الكتابات التاريخية التي تناولت تاريخ الأندلس طوال القرون الثمان التي شغلها الوجود الإسلامي في بعض أجزاء شبه الجزيرة الأيبيرية ، نشاطاً ملموساً في الجانب البحثي ، بيد أنه لا يزال الغموض يكتنف الكثير منها ولا سيما ما يتعلق بحدود أو امتداد الوجود الإسلامي في مناطق شبه الجزيرة الأيبيرية ولا سيما المناطق الشمالية من أسبانيا النصرانية وتحديداً منطقة اشتوريس *Asturias* التي ظلت في حكم المجهول في الكتابات التاريخية الإسلامية بسبب قلة المعلومات التاريخية حول تلك المرحلة التأسيسية من عمر مملكة اشتوريس *Asturias* . إذ نالت هذه المنطقة شهرة واسعة في الكتابات التاريخية الأسبانية كونها المنطقة الأولى التي شهدت انطلاق أول حركة مقاومة للوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية عُرفت بحركة الاسترداد الأسبانية (الريكونيكيستا) *Al Reconquista* (98-897هـ / 717-1492م) ، تزعمها القائد الثوري المدعو بلاي *Pelay* ، الذي كان ولا يزال محل قداسة واحترام من قبل الباحثين الأسبان ، إذ كان له دورٌ كبيرٌ في تأسيس هذه الحركة التي أخذ قادتها على عاتقهم مهمة قومية كبرى تمثلت بمقارعة الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وإنهاءه من كامل التراب الأيبيري ، علماً أنّ هذه الحركة مرت بأكثر من دور قبل أن تتبلور وتفرض نفسها ، فأتسع نطاقها وتعززت أركانها ، واتخذت مخططات شاملة محكمة استطاعت من خلالها تحقيق

نجاحات عسكرية كبرى مستغلة ضعف الكيان السياسي في الأندلس الإسلامية . ومن هنا انبثقت أهمية الموضوع كونه من المواضيع المختلف عليه عند جمهور الباحثين ولا سيما في ما يتعلق بتفسير مصطلح الاسترداد وتحديد سنوات انطلاقه ، لذا جاءت هذه الدراسة لتكشف النقاب عن حقبة تاريخية مهمة استطعنا أن نحدد ما هية الاسترداد ومفهومه كونه حركة وطنية كانت اسبانيا وما تزال تعظمها وتتغنى بها إلى يومنا هذا .

Abstract :

The historical writings on the history of Andalusia during the eight centuries occupied by the Islamic presence in some parts of the Iberian Peninsula, witnessed significant activity in the research side, but there is still a lot of ambiguity surrounding them, especially with regard to the limits or extension of Islamic presence in the regions of the Iberian Peninsula Especially the northern regions of Christian Spain, specifically the region of Asturias, which remained in the rule of the unknown in the Islamic historical writings due to lack of historical information about that founding phase of the age of the Kingdom of Asturias Asturias. This region became famous in Spanish historical writings as the first region to witness the first movement of resistance to the Islamic presence in the Iberian Peninsula known as the Spanish Reconquista (98-897 / 717-1492), led by the revolutionary leader called Pelay He was, and still is, the subject of holiness and respect by the Spanish researchers, as he had a great role in the establishment of this movement, whose leaders took upon them a major national task of combating the Islamic presence in the Iberian Peninsula and ending it from the entire Iberian territory. More than one role But to crystallize and impose itself, Votsa scope and strengthened its pillars, and has taken a comprehensive schemes in which the Court was able to achieve major military successes taking advantage of the weakness of

the political entity in the Islamic Al-Andalus. Hence, the importance of the subject emerged as a controversial topic among the research public, especially with regard to the interpretation of the term recovery and determine the years of its launch, so this study came to unveil an important historical era we were able to determine what is the recovery and the concept of being a national movement was Spain and still great And sings it to this day

يمثل الوجود الإسلامي في الأندلس امتداداً لحركة التوسع العسكري التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية ، إذ نجح المسلمون في السيطرة على معظم نواحي شبه الجزيرة الأيبيرية ، فأقاموا في بعض مناطقها مدة تقارب ثمان قرون (92هـ-897 هـ / 711-1492م)¹ ، إلى أن اضطروا إلى إخلائها كلياً في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي 897 هـ/ 1492 م، وهنا صار لزاماً علينا أن نفرق بين مفهومين يتعلقان بهذا الحدث المهم في تاريخنا الإسلامي ، وأن نحدد المنطلقات التي على أساسها يتم التعامل مع تلك المفاهيم، والتسميات فحينما يطلق المؤرخون العرب والمسلمون تعبير الفتح الإسلامي لاسبانيا فأنهم ينطلقون من منطلقات قومية عربية ودينية إسلامية ، في المقابل فأن المؤرخون الأسبان وربما المتعصبون منهم بشكل خاص يطلقون على ذلك الحدث تعبير الغزو الإسلامي لاسبانيا وهم أيضاً ينطلقون من منطلقات قومية اسبانية ودينية مسيحية .

² ، ومن نافلة القول أن هذا المصطلح لا يرد في المصادر العربية بتاتاً، ولا نعث على ما يقابله أو يقوم مقامه، أو يشابهه في دلالاته ، علماً أنها كانت مشروعاً مشتركاً بين مكونات المجتمع النصراني ، تمخض عنه نضالٌ ساهم في ولادة اسبانيا الجديدة ، بعد أن خاض رواد هذه الحركة حروباً مقدسة بالنسبة لهم سعوا من خلالها للدفاع عن سلامة ، وأراضي اسبانيا وتخليصها من سلطان المسلمين³.

وقد رافق قيام هذه الحركة دعم ديني كبير أسهم في إنجاحها ، وتطورها بحيث أقدم الكثير من شباب أوروبا ، للانضمام والانخراط إلى جانب الأسبان ومشاركتهم في الحروب التي وقعت بينهم وبين المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية لذلك شكلت هذه الحروب لحظة حاسمة

في تحديد الهوية الأسبانية والدفاع عن النصرانية واسترداد اسبانيا لحظيرة الكنيسة ، وعودتها نصرانية مثل ذي قبل⁴ ، فلا غرابة أن يرتبط مصطلح الاسترداد *Al reconquista* (الريكونيكيستا) ، مع القومية الأسبانية⁵ ، الأمر الذي أكد عليه المؤرخين الأسبان الذين سعوا جاهدين على جعل هذه الحركة اسبانية خالصة دون تدخل أو مساعدة أطراف أو قوى خارجية أخرى⁶ ، مؤكدين أن اشتوريس *Asturias*⁷ هي النافذة التي انطلق منها تيار هذه الحركة التي أخذت تزداد سطوعاً وانتشاراً بشكل سريع⁸ ، مستغلة خلافات القوى الإسلامية التي حكمت الأندلس في تلك الفترة ، ومعتبرين أن قضيتهم قضية اسبانية ووطنية بحته منوطة بملوكها القوط⁹ وخدمهم دون غيرهم ، الأمر الذي يرفضه البعض معترضاً بأن تلك الحركة ارتبطت بالفكرة القومية ويطرح موقفاً متطرفاً من ذلك مؤكدين أن الأسبان لم يكن قصدهم من هذه الحركة أو من حروبها فتح بلادهم أو استردادها ، وإنما الإغارة على المسلمين وسلب ونهب ما بأيديهم والانتقام منهم¹⁰ ، ولا يبدو ذلك صحيحاً إذ أن المتتبع لهذه الحركة يجد أنها انطلقت من مفهوم قومي وديني، وأن نتائجها قد غيرت التاريخ الإسلامي بشكل كبير ، وأن أثرها لم يكن محصوراً على التراب الأيبيري فقط بل امتد إلى مناطق واسعة من العالم الإسلامي فقد أندفع الأسبان من منطلقات دينية وقومية ووسعوا نفوذهم خارج شبه الجزيرة الأيبيرية .

ونظراً لأهمية هذه الحركة لابد لنا أن نعرف جذور تشكيلها، وبداياتها وأطوارها وتاريخها القومي ولا سيما أنها تعد حركة ذات عنصر كبير الأهمية في تكوين إسبانيا الحديثة، ويعدها الشعب الإسباني من أهم الأحداث الوطنية الخالدة في تاريخه القومي، ويرى فيها مقاومة إسبانية قومية، ونشاطها من أقوى مراحل الكفاح الإسباني خلال تاريخ أيبيريا على مر عصورها التاريخية ، فقد تبلور خلالها صراع أمتد زهاء ثمان قرون كانت أبرز ملامحه بأنه صراع وجود لا صراع حدود¹¹ ، لذا فلا غرابة إذا بقيت هذه الحركة حية في نفوس الأسبان تكريماً لما بذله روادها من جهود امتدت قروناً متوالية ، ما لانت خلالها لهم عريكة أو همدت لهم همة ، رغم الصعوبات البالغة التي واجهتهم ، وإذا كانت هذه الحركة قد صادفت اهتماماً بالغاً من المؤرخين اللاتين ، فتتبعوا تطوراتها في أدق جزئياتها وتفصيلها ، حتى بدت في كتابات العرب الحديثة وكأنها مجرد أمر غير مرئي أو مسألة خفية لم يتوقعوا نجاحاً لها أو توفيقاً ،

فأهملوها قليلاً واحتقاراً لشأنها ، في حين غالى المؤرخون الأوروبيون والأسبان في تقييمها ، وأحاطوها بهالة من الاهتمام والقداسة ، إلا أنّ الطابع الانتقائي يسمّ معظم دراساتهم ، إذ تعمّدوا إبراز جوانب معينة في أحداثها ، أنسبت بالغلو في تقييم تلك الحركة ، بل أنّها وصفت في كثير من الأحيان بطابع قومي متطرف وديني متعصب ، وهذا يبدو واضحاً من خلال تصويرهم للصراع الذي خاضه الأسبان مع المسلمين ، على أنّه صراعٌ صرفٌ بين الإسلام والنصرانية ، وبعض تلك الدراسات تفسح المجال لكثير من الأساطير الخارقة، إبرازاً للتأييد الإلهي للأسبان في مقاومتهم لأعدائهم المسلمين¹² ، ولا سيما في المراحل الأولى للمقاومة الأسبانية للوجود الإسلامي بالأندلُس وهذا يظهر واضحاً عند الحديث عن موقعة كوفادونجا *Covadonga*¹³ التي يعدّها الأسبان باكورة الانتصار الكبير الذي حقّقته حركة الاسترداد الأسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) ، وأنّ التاريخ العسكري لهذه الحركة يبدأ في اليوم الذي أنتصر فيه الأسبان على المسلمين في هذه المعركة¹⁴.

نشأت حركة الاسترداد الأسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) بعد دخول المسلمين إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وتكونت أولى نواتها سنة 98هـ/ 718م¹⁵ ، على يد الثائر بلاي *Pelay* حينما استطاع تحشيد الثائرين الناقمين على المسلمين الذين احتلوا بلادهم¹⁶ ، لذلك فإنهم يؤكّدون على طابعها الأسباني الأمر الذي لا يمكن قبوله أو الأخذ به إذ أنّ المعطيات التاريخية تشير إلى أنّ الحركة نشأت اسبانية خالصة ، لكنها قد تلقت دعماً خارجياً فيما بعد واکب سير تحركاتها وساعدها على تحقيق أهدافها وهذا يظهر واضحاً من خلال تسرب الأنظمة الديرية إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، وعلى رأسها نظام كلوني *Cluny* ، ونظام سيسيتريسي *Cistercy*¹⁷ ، ودعم الكنيسة لها ونعت حروبها بأنها حروبٌ مقدسة ومنحها امتيازات خاصة بعد أن أبدى البابا انوسانت الثالث *Inocente III* (595-613هـ/1198-1216م)¹⁸ ، الذي ينحدر من أصول أسبانية ، حماسة منقطعة النظير لهذه الحركة ، فازدادت أهميتها¹⁹ واتخذت من الدين عاملاً مساعداً لها ، فتمّ تأسيس النظم الديرية العسكرية *Ordres militaire* ، في اسبانيا²⁰ ، وأصبحت ذات تأثيراً كبيراً على الشعب الأسباني²¹ ، وقد رفض البابا

أوربان الثاني *Urban II* (481-493هـ/1088-1099 م)²² ، صاحب الحملة الصليبية الأولى في التاريخ ، والأخذ لقرار الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي ، والتي تعتبر دعوته للحروب الصليبية هي بداية الانطلاق للدولة الدينية في أعنا صورها كما أنها كانت البداية لظهور ما يسمى بصكوك الغفران²³ ، رفض مشاركة المطران برنارد *Bernardo* ، وعدد من القساوسة الأسبان في الحروب الصليبية بالمشرق قائلين لهم : يوجد في بلادكم (اسبانيا) حرب صليبية ، ولم يكتف بذلك بل أصدر هذا البابا مرسوماً حُرِّم فيه على رجال الدين والفرسان الأسبان المشاركة في صليبيات المشرق ، لأنَّ محاربة المسلمين باسبانيا لا تقل أهمية واعتباراً عن الحرب الصليبية المشرقية ، وقد ترتبَ على ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوروبا إلى الأندلس ليساهموا في حرب الأسبان ضد المسلمين²⁴ ، ناهيك عن المساعدات الكبيرة التي قدمتها حكومات الفرنج لسير هذه الحركة وتطورها²⁵ ، لذا فلا جدال في أنَّ الحروب الصليبية التي شهدتها المشرق الإسلامي منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، كانت امتداداً للحروب الدائرة رحاها وقتذاك على الأرض الإسبانية ضد مسلمي الأندلس .

وعن مواقف المؤرخين حيال قيام هذه الحركة وتطورها فقد اعتبرَ البعض أنَّ أطلاق تسمية الاسترداد *Al reconquista* (الريكونيكيستا) على حركة المقاومة الأسبانية منذ ميلادها في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي ، لا يخلو من خطأ كبير ، لأنَّ اشتوريس *Asturias* إنما ولدت حسب وجهة نظرهم في ناحية لم يفتحها العرب قط ، فميلادها لا يعد بدءاً لحركة الاسترداد الأسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) وإنما يُعد ميلاداً لحركة المقاومة الأسبانية للسيادة الإسلامية²⁶ ، وذهب آخرون إلى أبعد من ذلك حينما أكد بعضهم على إنَّ الاسترداد الحقيقي قد بدء في عهد الطوائف (422-484هـ/ 1030-1091 م) ، أما قبل ذلك فقد كان هدف ممالك اسبانيا وهما الوحيد هو العيش بسلام من غزوات المسلمين²⁷ ، ويبدو من خلال ما تقدم أنَّ هؤلاء المؤرخين قد تناسوا إنَّ في عصر الولاة (95-138هـ/ 714-755 م) ، قد استرد الأسبان مدناً وحصوناً مهمة ذات مساحات شاسعة قدرت مساحتها بربع شبه الجزيرة الأيبيرية²⁸ ، وأنحسر الوجود الإسلامي في منطقة الشمال الأسباني مع تراجع التوسع الإسلامي في تلك المنطقة، لذا فمن

منطق الدقة القول إنّ حركة الاسترداد الاسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) قد ولدت بعد وصول المسلمين إلى أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية بست سنوات أي تحديدا سنة 98هـ/ 718م ، وكذلك يحق لنا أن نتساءل بالقول ألا يعتبر ميلاد حركة المقاومة الأسبانية ضد السيادة الإسلامية البذرة أو الخطوة الأولى في عملية الاسترداد ؟ والتي سارت بخطوات ثابتة نحو استرداد أجزاء ومدن كبيرة في الشمال الأسباني . ويبدو إن المؤرخين الفرنسيين هم من روجوا لهذا الفكرة ، رداً على أدعاء المؤرخين الأسبان أن هذه الحركة هي حركة اسبانية خالصة ، فراح الفرنسيين يقللون من شأن بداياتها ويدعون أنّ الاسترداد الحقيقي قد بدأ في عهد الطوائف ، حتى لا يغيبوا دور شارلمان *Charlemagne* (151-199هـ / 768-814م)²⁹ ، بصورة خاصة في نجاح هذه الحركة أو دور الفرنج بصورة عامة .

لم يكتف المؤرخون بهذا الاختلاف بل اختلفوا أيضاً حول مفهوم مصطلح الاسترداد *Al reconquista* (الريكونيكيستا) ، فالواقع أن معظم المؤرخين اتفقوا على إنّ هذا المفهوم يظهر في إطارين مختلفين هما

الإطار الأول : يشمل جهودهم ومقاومتهم لكل غاز غزا شبه الجزيرة الأيبيرية من القوى الأجنبية ، التي نزحت إليها .

الإطار الثاني: يرى البعض إنّ المقصود بحركة الاسترداد *Al reconquista* (الريكونيكيستا) أنّها تقتصر على مقاومة المسلمين الذين سيطروا على شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 92هـ/ 711م³⁰ ، حتى طردهم منها وإنهاء وجودهم السياسي سنة 897هـ/ 1492م³¹ ، ويرى الباحث أنّ الإطار الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة عند معظم المؤرخين ، إذ إنّ المتتبع لتاريخية المجتمع الأسباني يجد أنّه خليطاً متجانساً من شعوب عدة قد غزت أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية على مر العصور ، ولم تواجه تلك الغزوات مقاومة من قبل الشعب الأسباني بل أنّه ذاب وأنخرط مع أولئك الغزاة وتعايش مع غالبيته ، روماناً كانوا أو قوطاً أو غيرهم ، لذا فإنّ الرأي السائد والأرجح هو أنّ حروب الاسترداد هي تلك الحروب التي شنها الأسبان لطرد المسلمين من الأندلس .

المراحل التاريخية لحركة الاسترداد الاسبانية .

مرت حركة الاسترداد الأسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) بحقب وأطوار تاريخية مختلفة فهي تخبو وتضمحل حينما تكون الأندلس قوية وموحدة تحت لواء الإسلام وهذا ما سنلاحظه في حقبة عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316-400هـ / 929-1009م) حيث تعامل خلفاء بني أمية مع هذه الحركة بكل ما يمتلكون من قوة وحزم ، لذا فلا نجد لها أي دور يذكر في تلك الحقبة التاريخية ، لكنها تنشط وتتوسع حينما يتزايد الصراع والخلاف الإسلامي الداخلي الذي بلغ ذروته في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو عصر دول الطوائف بالأندلس(422-484هـ / 1030-1091م)، ففي هذا العصر انفردت عُرى وحدة الدولة بالأندلس، وتجزأت إلى عدد كبير من الدويلات المتناحرة فيما بينها، وأصبح التاريخ الأندلسي مطبوعاً بالصراعات بين ملوك الطوائف، وبتدخل الملوك الأسبان في الشؤون الداخلية للأندلس أكثر فأكثر، وزاد الأمر خطورة الضعف العسكري الكبير الذي أضحت عليه دويلات الطوائف بالمقارنة مع الممالك النصرانية الشمالية ، واستغلّ النصارى هذه الظروف وتزايد نشاط هذه الحركة وأخذت تسير باتجاه استرداد المدن الأسبانية وتعميرها بشكل سريع³² . ليكونَ استرداد مملكة غرناطة³³ آخر حاضرة إسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 897هـ/ 1492م ، خاتمة لحروبها ونضالها الكبير ، وقد قسم المؤرخ بيني *Payne*³⁴ ، مراحل تاريخ هذه الحركة وما قامت به من جهد كبير من أجل استرداد المدن الأسبانية وفق المراحل الآتية :-

- 1- المرحلة الأولى تمتد من سنة 123-174هـ / 740-790م ، إذ تم في هذه المرحلة استرداد مناطق واسعة من أراضي جليقية *Gallaecia*³⁵، ويبدو أن بيني *Payne* ، من المؤرخين الذين يؤكدون أن معركة كوفادونجا سالفه الذكر قد وقعت في سنة 123هـ / 740م ، على خلاف ما سنثبتهُ من أنها وقعت في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي (103-107هـ / 725-721م)³⁶ .
- 2- المرحلة الثانية من سنة (236-339هـ / 850-950م)، شهدت هذه المرحلة توسع الأسبان ، وسيطرتهم على المناطق القريبة من نهر دويرة *Duero*³⁷ واسترداد إقليم قطلونيا *Catalonia*³⁸ .
- 3- المرحلة الثالثة والتي تتمثل بحقبة القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، والتي شهدت سيطرة الأسبان على وسط شبه الجزيرة الأيبيرية واسترداد بعض أراضي البرتغال .

4- المرحلة الرابعة والمتمثلة في بدايات القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، والتي شهدت فيها مملكة أرغون³⁹ توسعا كبيرا وتقدما باتجاه الجنوب واسترداد مدن مهمة .

5- المرحلة الخامسة والمتمثلة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حيث شهدت فيها حركة الاسترداد الأسبانية *Al reconquista* (الريكونيكيستا) استرداد مناطق جزر البليار⁴⁰ ومدينة بلنسية *Valencia*⁴¹ .

6- المرحلة السادسة وفيها استرد الأسبان مناطق مهمة ، وتوسعت فيها مملكة قشتالة *Castilla* (ألبية والقلاع)⁴² ، على طول الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية .

7- المرحلة السابعة والمتمثلة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي والتي استرد فيها الأسبان مملكة غرناطة آخر حاضرة إسلامية في بلاد الأندلس .

ومن الجدير بالذكر عندما نتحدث عن حركة الاسترداد الاسبانية وعدوانها على أراضي المسلمين ، فهذا لا يقتصر على الممالك النصرانية الشمالية ، بل يشمل القوى البحرية المسيحية المنضوية تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية والمكونة من الإمارات الإيطالية وقوات الفرنجة التي كانت تقارع أساطيل دانية والجزائر الشرقية في البحر الأبيض المتوسط وتهاجم الثغور الإسلامية البحرية من حين لآخر ، فبعد استيلاء أغلب موالى مجاهد العامري⁴³ ، على سردانية⁴⁴ أيام حكم علي بن مجاهد العامري⁴⁵ سنة 441هـ/1049م ، قام البابا ليو التاسع *Leo IX* (426-446هـ/1044-1054م) بتكوين حلف بحري مسيحي برعاية بيزة كبرى جمهوريات إيطاليا البحرية ، وقاموا بمهاجمة القوات الإسلامية في سردانية وأرغموها على الانسحاب منها ودمروا جزء لا يستهان به من أسطول دانية⁴⁷ .

ازدادت وتيرة حركة الاسترداد وحروبها بعد إعلان البابا أوربان الثاني *Urban II* (481-493هـ/1088-1099م) سنة 488هـ/1095م في مجمع كليرمون مُعلنًا الحروب الصليبية ضد المسلمين ، فوفد على اسبانيا أفواج جديدة من المقاتلين الفرنسيين لقتال المسلمين ومقارعتهم ، وكانت تلك الحرب أمتداد طبيعي للحروب الصليبية التي بدأت في المنطقة منذ سقوط جزيرة سردانية في يد البابا والقوات النصرانية المشتركة (الفرنسية والاسبانية) سنة 406هـ/1015م⁴⁹ .

الخاتمة .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :-

- 1- يُعد وصول المسلمين إلى بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية جزءاً من حركة توسع عسكري انطلق من شبه الجزيرة العربية بهدف نشر الإسلام وزيادة نفوذه في إرجاء المعمورة .
- 2- اختلفت الكتابات والروى التاريخية في التعامل مع وصول المسلمين إلى بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية ، فالمسلمون ينظرون إلى هذا الحدث على أنه فتح إسلامي منطلقين من فكر ديني عربي ، إما الأسبان فأنه يعدونه غزو واحتلال منطلقين من فكر قومي ، الأمر الذي ولد اختلاف كبير في الكتابات التاريخية التي تناولت هذا الحدث الكبير .
- 3- أطلق الأسبان على حقبة نضالهم وتاريخهم القومي خلال الحقبة الزمنية الممتدة على مدار ثمان قرون (98-897هـ / 716-1492م) كرسوا فيها جهودهم لمقارعة الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية ، أطلقوا عليه مصطلح حركة الاسترداد الاسبانية أو ما يسمى عندهم AL-Reconquista .
- 4- كانت الروح الصليبية حاضرة في قيام هذه الحركة ومساندتها في أحلك الظروف التي مرت بها ، بحيث أقدم الكثير من شباب أوربا وشبانها للإنضمام والانخراط إلى جانب الأسبان ومشاركتهم في الحروب التي وقعت بينهم وبين المسلمين .
- 5- كانت منطقة اشتوريس نقطة اندلاع حركة الاسترداد الاسبانية على يد الثائر بلاي ، لذلك فقد كانت هذه المنطقة ومازالت تتمتع بأهمية ومكانة كبيرة عند الأسبان .
- 6- تمخض عن نضال الأسبان ضد المسلمين ولادة اسبانيا الجديدة ، التي أرتبط فيها مفهوم الاسترداد مع مفهوم القومية الأسبانية .
- 7- تراوح تاريخ هذه الحركة بين القوة والضعف ، فهي تنشط وتتصاعد وتيرة استردادها للأراضي الإسلامية كل ما ضعف الحكم الإسلامي في الأندلس ، وتضعف ويتوقف ذلك الاسترداد في حال توحيد كلمة المسلمين في الأندلس وتمتعهم بقوة كبيرة تعجز الممالك النصرانية التصدي لهم أو النيل منهم .

الهوامش

¹¹ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، 1/ 276 ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص43؛

² Maravall, Elconcepto, p35 ؛ Linehan, History and the Historians , p78-79

³ . 3 . Martín, Reconquista y repoblacion,p1-2 ؛ Fitz, La Reconquista , p

⁴ Villgas , Norman and Anglo , p 38 ؛ Merriman, The rise of the Spanish , p56

⁵ Pidal, The Spainsh , p1/ 54.

⁶ Flich, Alphonse II , P117-131 .

من جهة الغرب بسلسلة جبلية *Gallaecia* أشتوريس : منطقة تقع في شمال اسبانيا معزولة عن جليقية⁷ وعن منطقة كنتبرية من جهة *Sanabria* ، وجبال سنابريا *Ponferrada* شاهقة الارتفاع عرفت بجبال بونفرادا ، عُرف سكانها (اشتوريس) بقوة البنية والقدرة على *Deva* ، ونهر ديبا *Es/الشرق* بمجرى نهر اشتورا (إسلا) تحمل الصعاب وأعباء الحياة وخشونة الطباع كما يتصفون بالنجدة والأقدام حتى أنهم كانوا يضحون بأنفسهم لافتداء أو حماية من يلجأ أو يتقرب إليهم ويتعلقون به ، واتسمت حياتهم بالتقشف والاقتصاد حتى قيل أنهم يتناولون وجبة طعام واحدة في اليوم . ينظر : رمضان ، اشتوريس ، ص47-48 ؛ الحسيني ، حروب الاسترداد ، ص58-59 .

⁸ رمضان ، شارلمان في مصادر تاريخ اسبانيا ، 32 / 157 .

⁹ القوط : يرجع أصل قبائل القوط إلى المنطقة الواقعة على ضفاف بحر البلطيق ، نزحوا من موطنهم الأصلي إلى الشواطئ الشمالية الغربية من البحر الأسود خلال القرن الثاني للميلاد ، لكنهم توزعوا إلى جبهتين : حيث توجه القوط الشرقيون إلى السهول الجنوبية من روسيا ، فيما توجه القوط الغربيون إلى منطقة ترانسلفانيا والبلقان حيث استقروا عند الضفة الأخرى من نهر الدانوب وفقا للخيار ، بعدها انتقلوا إلى مناطق متعددة ومنها شبه الجزيرة الأيبيرية ينظر : براون ، تاريخ أوروبا ، ص88-89 ؛ طرخان ، دولة القوط ، ص32-33 .

¹⁰ روبرتسون ، ، إتحاق الملوك ، ص138 .

¹¹ Palanques , La Reconquista Española,p 395.: Maravall, Elconcepto , p 36

¹² Aristizábal , Norman and Anglo , p 37

¹³ معركة كوفادونجا : هي معركة وقعت في أوائل فترة الحكم الإسلامي للأندلس بين قوة من المسلمين وقوة من القائد الاسباني الشهير بلاي ، حيث تمكن الاسبان من هزيمة المسلمين هزيمة كبرى ، السكان المحليين بقيادة مملكة اشتوريس ، وقد حدثت هذه المعركة ، في وقد عدت المصادر الغربية هذه المعركة هي النواة الأولى لنشأة الواقعة في *Covadonga* ، التي تسمى أيضاً بمغارة كوفادونجا *Cova sanctae Mariae* مغارة القديسة ماريّا ، على ساحل بسقاية . وقد أكتنف *Gijon* جبال كنتبرية في اشتوريس إلى الجنوب الشرقي من مدينة خيخون الغموض والشك تاريخ وقوع هذه المعركة ولا سيما عند المؤرخين المسلمين ، فأبن عذارى والمقري يجعلون وقوعها في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلي (103-107هـ/721-725م)، أما ابن خلدون فيجعل وقوعها في

ولاية عقبة بن الحجاج السلولي (116-123هـ / 734-741م) ، أما رواية صاحب الأخبار المجموعة¹³ ، فتؤكد أنَّ هذه المعركة قد وقعت سنة 133هـ / 751م ، وهو توقيت متأخر جداً ، لعله أستند على ما حصل من أحداث جسام في المشرق ومنها زوال الخلافة الأموية سنة 132م / 750م ، الأمر الذي يكون قد ألقى بضلاله على مستقبل الأندلس بأسرها ، ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2/27 ؛ المقري ، نفع الطبيب ، 3/17-18 ؛ 4/351-350 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 4/125 ؛ مجهول ، ص 61.

Merriman , The rise of the Spanish , p 56 . 14

Becerra , Los Reinos , p 2 ؛ Weiner , Discoveries are not to be , p 95-96 15

Becerra , Los Reinos cristianos , p 2-4 . 16

¹⁷ نظام كلوني Cluny ، ونظام سيسترسى Cistercy : وهي أنظمة أوروبية كانت تدعو الشباب الأوربي للمشاركة في الحروب الصليبية التي تهدف إلى محاربة الإسلام والقضاء عليه ودعت مبادئ هذه الأنظمة إلى توجه هؤلاء الشباب إلى اسبانيا ومقاتلة المسلمين هناك ينظر : العلياوي ، الحملات الصليبية على الأندلس ، ص 16 وما بعدها ؛ . Guzman , Crusade in Andalus , p 289- 297 .

¹⁸ البابا انوسانت الثالث : وُلد باسم لوتاريو ده كونتي ده سگني ، ويلقب أحياناً باسم لوتر سگني ، كان البابا إنوسانت واحداً من أكثر البابوات سلطة وتأثيراً في تاريخ البابوية ، ويتمتع بنفوذ كبير على الأنظمة المسيحية في أوروبا ، بالإضافة إلى ادعائه حق التفوق على كل ملوك أوروبا وبذل جهوداً كبيرة من أجل تدعيم الإصلاح في الكنيسة الكاثوليكية فيما يخص الشئون الإكليريكية عن طريق الدكرالات ومجلس اللاتيران الرابع . وأدى هذا إلى تحسين الكثير من القوانين الكنسية الغربية . ينظر : <https://www.marefa.org>

Housley, The later Crusades from Lyons , p 2 . 19

Guzman , Crusade in Andalus , p 289- 297 20

²¹ عاشور ، أوربا ، ص 361-362 ؛ قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص 7 ؛ العلياوي ، الحملات الصليبية ، ص 16

²² البابا أوربان الثاني : صاحب الحملة الصليبية الأولى ، وهو الذي تولى الكرسي البابوي في إحدى عشر سنة (481-493هـ / 1088-1099م) ، وكان هو الأخذ لقرار الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي ، وكان رجلاً ذكياً وسياسياً حاذقاً ، وتعتبر دعوته للحرب الصليبية هي بداية الانطلاق للدولة الدينية في أعق صورها كما انها كانت البداية لظهور ما يسمى بصكوك الغفران . ينظر : قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص 90-94 ؛ السماك ، الفاتيكان ، ص 30 .

²³ قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص 90-94 ؛ السماك ، الفاتيكان ، ص 30 .

²⁴ المطوي ، الحروب الصليبية ، ص 191 ؛ O'Callaghan, Reconquest and Crusade, p 17-22

, Bishko , The Spanish and Portuguese, p2-4 Martinez , Reconquista , p 28

Becerra , Los rei nos cristianos , p2-3 . 25

- ²⁶ مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 310 ؛ بلاي وميلاد اشتوريس ، ص 59 ؛ مكي ، تاريخ الأندلس السياسي ، 68/1
Tuliani , La idea de Reconquista, p5
- ²⁷ رمضان ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص 381 .
- ²⁸ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص 135 .
- ²⁹ شارلمان : شارلمان بالفرنسية (Charlemagne أو كارل الكبير) بالألمانية (Karl der) وسماء العرب قارلة عاش (742- 814) هو ملك الفرنجة حاكم إمبراطوريتهم بين عامي (768- 800) وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (800- 814). وهو الابن الأكبر للملك بيبين الثالث من سلالة الكارولينجيين. ويعتبر بيبين القصير مؤسس حكم أسرة الكارولنجيين في حين يعتبر ابنه شارلمان (حكم من عام 768 إلى عام 814) أعظم ملوكها وهو أول إمبراطور روماني مقدس. ينظر : اينهارد ، سيرة شارلمان ، ص 12-13 .
- ³⁰ Linehan , At the Spanish , p 53 .
- ³¹ Crow , Spain the root , p 78 : Martin , La peninsula , p229 .
- ³² Arteta , Valoracion de la reconquista , p 214 .
- ³³ غرناطة : مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن البيرة ، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة إلى البيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة ... ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 371-372 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 45 .
- ³⁴ Ahistory of Spain , p 1 : Weiner, D discoveries are not to be , p 97-99 .
- ³⁵ جليقية : منطقة واقعة في شمال اسبانيا يرجع اصل سكانها إلى ولد يافث بن نوح عليه السلام وهو الأصغر من ولد نوح ، وبلدهم جليقية وهي تلي الغرب وتنحرف إلى الجوف ، وجليقية تقع قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمال الأندلس ... ، ينظر البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص 71-73 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 131 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 169 .
- ³⁶ عنبسة بن سحيم الكلبي : كان أمير الأندلس في سنة 106هـ من قبل بشر بن صفوان أمير إفريقية في أيام هشام بن عبد الملك ، ومات سنة 107هـ ، وقيل سنة 109هـ والله أعلم ينظر الحميدي ، جذوة المقتبس (ترجمة رقم 740) ، 2/ 115 ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، (ترجمة رقم 1263) ، 2/ 566 ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، 2/ 27 .
- ³⁷ نهر دويرة : من الأنهار الكبيرة والشهيرة في الأندلس يقع بين مدينتي سمورة شرقاً ، وميرانده غرباً . ينظر : الحسيني ، حروب الاسترداد ، ص 59 .
- ³⁸ قطلونيا : مر تاريخ إمارة قطلونيا بحقب زمنية مختلفة حتى أعلن عن قيامها كأمانة مستقلة فقد أعطى شارل الأصيل فرنسا ومناطق التخوم الأسبانية بعد توزيع أملاك الإمبراطورية الفرنجية بينه وبين أخويه لوثر ولويس الجرمانى ، فقد حدث تمرد في إقليمها الشمالي (سبتمانيا) فقام بفصل هذا الإقليم عن الثغر القوطي سنة 251هـ/ 865م ، ومن يومها أصبح لهذا الثغر إدارة خاصة لا ترتبط بالأقاليم المجاورة ، الأمر الذي شجع حكامه على الاستقلال عن فرنسا ، ففي سنة 259هـ/ 872م استقل ويفريدو الفولسو بما تحت يديه من مدن

، فأصبح أميراً على برشلونة سنة 261هـ/874م ، لكن الاستقلال التام لجميع مقاطعات الثغر الأسباني (قطالونيا) بأسرها عن فرنسا كان قد تم سنة 275هـ/888م . ينظر : العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص 157 ؛ العربي ، تاريخ أوروبا ، ص 342؛ الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص 174 السامرائي ، الثغر الأعلى ، ص 266 .³⁹ أرغون : يرجع أصلها على رقعة صغيرة تمتد من باب شيزروا في جبال البرتات نحو الجنوب بحذاء نافار الواقعة إلى الغرب منها ، وقد ظهرت بشكل إمارة صغيرة أواخر عصر الولاة ، وقد كانت أرغون في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ضمن مملكة نافار ، وحين قسم شانسو الكبير مملكته هذه قبل وفاته سنة 426هـ/1035م ، بين أبنائه الأربعة خص أبنه غير الشرعي راميرو بأرغون ، وقد نشط هذا الأخير في مد سلطانه على ما حوله من البلاد ، ثم تولى حكمها بعد وفاته سنة 455هـ/1063م ، أبنه سانشو الذي اتسعت أرغون في عهده اتساعاً كبيراً ، ثم خلفه بعد وفاته أبنه بيدرو الأول ، ولما توفي سنة 498هـ/1105م ، حكم مملكة أرغون أخوه الفونسو الأول (المحارب) ، ينظر : عنان ، دولة الإسلام ، العصر الثاني ، ص 378-379 ؛ مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 519 .

⁴⁰ جزر البليار : تتكون جزر البليار أساساً من أربع جزر كبرى رئيسية ، تحيط بها عشرات الجزر الصغيرة المتناثرة حولها ، وهي جزيرة ميورقة (عاصمة جزر البليار وأكبرها مساحة) ، جزيرة منورقة (Menorca) ، جزيرة ايبزا (Ibiza) وفورمنتيرا (Formentera) التي هي أصغرهم ، ولم تذكر في كتب التاريخ القديم ، ويبدو أنها كانت مهجورة وغير صالحة لرسو السفن . ينظر سيسالم ، جزر الأندلس المنسية ، ص 15- ومابعدها .
⁴¹ بلنسية : مدينة تقع في شرقي الأندلس ، بينها وبين قرطبة على طريق بجاية ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً ، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستوٍ من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وحط وقلاع . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 279 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 97 .
⁴² قشتالة : ألبية والقلاع : علمان جغرافيان يستعملان عادة معاً في النصوص العربية ، أما ألبية فهي Alava ، وهي الإقليم الواقع عند منابع نهر أبره على الضفة اليمنى (الشمالية) ، للنهر وأصل الاسم غير معروف ، فذهب بعضهم إلى أنه اشتق من Uraba و Alba بل ذهب بعضهم إلى أن أصله عربيه Araba ، لأن الاسم لم يظهر إلا بعد دخول العرب . أما القلاع فيراد به المنطقة التي تعرف بقشتالة القديمة Castilla la vieja ، سماها العرب كذلك لكثرة قلاعها وقد يكون العرب ترجموا بذلك اسمها القديم Castellae ، وألبية اليوم إحدى المديرية الثلاث التي يتكون منها إقليم Vascongadas ، وهو الذي كان العرب يسمونه بلاد البشكنس . ينظر : ابن الأبار ، الحلة السيرة ، هامش رقم (2) ، 2/ 135-136 .

⁴³ مجاهد العامري : مجاهد بن عبد الله العامري أبو الجيش الموفق مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور بن أبي عامر كان من أهل الادب والشجاعة والمحبة للعلوم ، نشأ بقرطبة وكانت له همة كبيرة ولما حدثت الفتنة القرطبية وتغلبت العساكر على النواحي بذهاب الدولة العامرية قصد هو ومن تبعه الجزائر الواقعة في شرق الندلس وهي جزائر خصبية وواسعة فسيطر عليها وحماها ثم قصد الى سردانية جزيرة من جزائر الروم الكبيرة في سنة 406هـ وقيل سنة 407هـ فغلب على أكثرها وافتتح معاقلها . ينظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم (1380) ، ص 472 .

سردانية : جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان ⁴⁴ وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً، وفيها ثلاث مدن الفيصنة وهي مدينة عامرة، ومنها مدينة قالمرة، وهي رأس المجاز إلى جزيرة قرشفة، والثالثة تسمى قشتالة. وأهل سردانية في الأصل روم أفارقة متبريرة متوحشون من أجناس الروم، وهم أهل نجدة وحزم لا يفارقون السلاح. وفي سردانية معادن الفضة الجيدة ومنها تخرج إلى كثير من بلاد الروم، وبين سردانية وجزيرة قرشفة مجاز طوله عشرون ميلاً. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص314.

⁴⁵ علي بن مجاهد العامري : علي بن مجاهد ملك دانية وتلقب بالموفق ووصف بأنه كان احرص المتغلبين على جهات الأندلس واطهر عرضاً وانقى ساحة، كان لا يشرب الخمر ولا يقرب من يشربها، وكان مؤثراً للعلوم الشرعية مكرماً لأهلها وتاريخ وفاته غير معروف لكنه توفي قبل فتنة المرابطين ببسبر. ينظر: المراكشي، المعجب، ص77.

⁴⁶ البابا ليو التاسع : بابا روما للفترة (426-446هـ/ 1044-1054م) عمل على إصلاح الكنيسة ووضع حد للفساد المستشري فيها جرد حملة عسكرية لدحض شركة النورمان في صقلية فُمني بهزيمة منكرة ووقع في الأسر فترة من الزمن. ينظر: بابتي، موسوعة الأعلام، ص78.

⁴⁷ سيسالم، جزر الأندلس، ص169؛ بلبل، الآثار الحضارية، 86.

⁴⁸ البابا أوربان الثاني : ولد باسم أوتو اللاجيري، صاحب الحملة الصليبية الأولى في التاريخ وهو الذي تولى الكرسي البابوي في أثنى عشرة سنة (481-493هـ/ 1088-1099)، كان سياسياً لبقاً وجريئاً، وهو الأخذ بقرار الحرب الصليبية على المشرق، وصاحب الحملة الصليبية الأولى، وكانت للحروب الصليبية هي بداية الانطلاق للدولة الدينية في أعق صورها كما أنها كانت البداية لظهور ما يسمى بصكوك الغفران. ينظر: المطوي، الحروب الصليبية، ص45؛ البشري، جهود البابوية، ص27-28.

⁴⁹ المطوي، الحروب الصليبية، ص46؛ عبد الحليم، العلاقات بين الاندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص328؛ بلبل، الآثار الحضارية، ص87.